

تفسير السعدي

@ 268 @ ثبوت علمه ، وهو هذه المخلوقات ، وما اشتملت عليه ، من النظام التام ، والخلق الباهر . فإن في ذلك ، دلالة على سعة علم الخالق ، وكمال حكمته ، كما قال تعالى 2 ! : 2 ! وكما قال تعالى : 2 ! 2 ! ذلكم الذي ، خلق ما خلق ، وقدر ما قدر . 2 ! 2 ! أي : المألوه المعبود ، الذي يستحق نهاية الدل له ، ونهاية الحب . الرب ، الذي ربي جميع الخلق بالنعم ، وصرف عنهم صنوف النقم . ^ (لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه) ^ أي : إذا استقر وثبت ، أنه لا إله إلا هو ، فاصرفوا له جميع أنواع العبادة ، وأخلصوها ، واقصدوا بها وجهه . فإن هذا هو المقصود من الخلق ، الذين خلقوا لأجله ! 2 ! . ^ (وهو على كل شيء وكيل) ^ أي : جميع الأشياء ، تحت وكالة الله وتديره ، خلقا ، وتديرا ، وتصريفا . ومن المعلوم ، أن الأمر المتصرف فيه يكون استقامته ، وتمامه ، وكمال انتظامه ، بحسب حال الوكيل عليه . ووكالته تعالى على الأشياء ، ليست من جنس وكالة الخلق ، فإن وكالتهم ، وكالة نيابة ، والوكيل فيها ، تابع لموكله . وأما الباري ، تبارك وتعالى ، فوكالته من نفسه لنفسه ، متضمنة لكمال العلم ، وحسن التدبير والإحسان فيه ، والعدل . فلا يمكن أحدا ، أن يستدرك على الله ، ولا يرى في خلقه خلا ، ولا فطورا ، ولا في تدبيره ، نقصا وعيبا . ومن وكالته : أنه تعالى ، توكل ببيان دينه ، وحفظه عن المزيلات والمغيرات ، وأنه تولى حفظ المؤمنين وعصمتهم عما يزيل إيمانهم ودينهم . ! 22 ! لعظمته ، وجلاله وكماله . أي : لا تحيط به الأبصار ، وإن كانت تراه في الآخرة ، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم . فنفي الإدراك ، لا ينفي الرؤية ، بل يثبتها بالمفهوم . فإنه إذا نفى الإدراك ، الذي هو أخص أوصاف الرؤية ، دل على أن الرؤية ثابتة . فإنه لو أراد نفي الرؤية ، لقال : (لا تراه الأبصار) ونحو ذلك . فعلم أنه ليس في الآية ، حجة لمذهب المعطلة ، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة . بل فيها ما يدل على نقيض قولهم . ! 2 ! 2 ! أي : هو الذي أحاط علمه ، بالظواهر والبواطن ، وسمعه ، بجميع الأصوات الظاهرة والخفية ، وبصره بجميع المبصرات ، صغارها ، وكبارها ، ولهذا قال : ! 2 ! 2 ! الذي لطف علمه وخبرته ، ودق ، حتى أدرك السرائر والخفايا ، والخبايا ، والبواطن . ومن لطفه ، أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه ، ويوصلها إليه بالطرق ، التي لا يشعر بها العبد ، ولا يسعى فيها . ويوصله إلى السعادة الأبدية ، والفلاح السرمدي ، من حيث لا يحتسب . حتى إنه يقدر عليه الأمور ، التي يكرهها العبد ، ويتألم منها ، ويدعو الله أن يزيلها ، لعلمه أن دينه أصلح ، وأن كماله متوقف عليها . فسبحان اللطيف لما يشاء ، الرحيم بالمؤمنين . ! 2 ! 2 ! . لما

بين تعالى من الآيات البينات ، والأدلة الواضحات ، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد ، نبه العباد عليها ، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم ، فقال : ! 2 2 ! أي : آيات ، تبين الحق ، وتجعله للقلب ، بمنزلة الشمس للأبصار ، لما اشتملت عليه ، من فصاحة اللفظ ، وبيانه ، ووضوحه ، ومطابقته للمعاني الجليلة ، والحقائق الجميلة ، لأنها صادرة من الرب ، الذي ربي خلقه ، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة ، التي من أفضلها وأجلها ، تبين الآيات ، وتوضح المشكلات . ! 2 2 ! بتلك الآيات ، مواقع العبرة ، وعمل بمقتضاها ! 2 2 ! فإن اﷻ هو الغني الحميد . ! 2 2 ! بأن بصر ، فلم يتبصر ، وزجر ، فلم ينزجر ، وبين له الحق ، فما انقاد له ولا تواضع ، وإنما مضرة عماه عليه . ! 2 2 ! أيها الرسول ! 2 ! أحفظ أعمالكم وأرقبها على الدوام ، إنما علي البلاغ المبين ، وقد أدبته ، وبلغت ما أنزل اﷻ إلي ، فهذه وظيفتي ، وما عدا ذلك ، فليست موطفا فيه . ^ (وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون * اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إل ه إلا هو وأعرض عن المشركين * ولو شاء اﷻ ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل) قوله تعالى : ! 2 2 ! الكاف في موضع نصب صفة للمصدر المحذوف ، أي : نصرف الآيات تصريفا ، مثل ما تلونا عليك . والتصريف معناه : التنويع . والمراد : أن اﷻ تعالى ، ينوع الآيات الدالة على المعاني الرائعة ، الكاشفة عن الحقائق الفائقة ، لا تصريفا أدنى منه ، بل تصريفا بلغت في الروعة مبلغا ارتقى عن إدراك المخلوقين . قوله تعالى : ! 2 2 ! جوابه محذوف ، تقديره (ونحن نصرفها) أو نفعل ما نفعل من التصريف المذكور (معنى درست : تعلمت) . وقرأت كتب أهل الكتاب أي : قدمت هذه الآية ومضت . كما قالوا : أساطير الأولين ، تلقاها ممن مضوا من أهل الكتاب من الأمم السابقة . ! 2 2 ! علة لفعل قد حذف ، تعويلا على دلالة السياق عليه . أي ، وليقولوا : درست نفعل ما نفعل ، من التصريف المذكور . واللام للعاقبة والصورورة ، والواو اعتراضية . أي : لتصير عاقبة أمرهم إلى أن يقولوا درست وهو كقوله تعالى : ! 2 2 ! وهم لم يلتقطوه للعداوة وإنما التقطوه ، ليصير لهم قرة عين ، ولكن صارت عاقبة أمرهم إلى العداوة . وكذلك الآيات ، صرفت للتبيين ، ولم تصرف ليقولوا : درست . ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين ، فشبه به . وقوله تعالى : ! 2 2 ! أي : القرآن ، وإن لم يجر له ذكر ، لكونه معلوما ، أو الآيات ، لأنها في معنى القرآن . ! 2 2 ! الحق من الباطل . ومجمل معنى الآية : ومثل هذا التنويع البديع في عرض الدلائل الكونية ، نعرض آياتنا في القرآن منوعة مفصلة ، لنقيم الحجة بها على الجاحدين ، فلا يجدوا الاختلاق والكذب ، فيتهموك بأنك تعلمت من الناس ، لا من اﷻ ، ولنبين ما أنزل إليك من الحقائق ، من غير تأثر بهوى ، لقوم يدركون الحق ، ويدعون له . اتبع أيها النبي ما جاءك به الوحي من اﷻ ، مالك أمرك ، ومدبر شؤونك ، إنه وحده الإله

المستحق للطاعة والخضوع ، فالتزم طاعته ، ولا تبال بعناد المشركين ، ولا تحتفل بهم ،
وبأقاويلهم الباطلة . قوله تعالى : ! 2 2 ! أي : إيمانهم فالمفعول به محذوف ! 2 !
بين أنهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الإيمان لهداهم إليه ولكن علم
منهم اختيار الشرك فأشركوا بمشيئته . قوله تعالى : ! 2 2 ! أي : رقيبا مهيمنا من
قبلنا مراعيًا لأعمالهم مأخوذاً بإجرامهم وكذلك قوله : ! 2 2 ! من جهتهم ولا بمسلط تقوم
بتدبير أمورهم وترعى مصالحهم . والمعنى الإجمالي للآية : ولو أراد الله أن يعبدوه وحده ،
لقهرهم على ذلك ، بقوته وقدرته ، لكنه تركهم لاختيارهم . وما جعلناك رقيبا ، تحصى عليهم
أعمالهم ، وما أنت بمكلف ، بأن تقوم عنهم ، بتدبير شؤونهم ، وإصلاح أمرهم . ! 2 !
ينهى الله المؤمنين ، عن أمر كان جائزا ، بل مشروعاً في الأصل ، وهو سب آلهة المشركين ،
التي اتخذت أوثانا وآلهة